دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	قرية عينون ذاكرة الحجر والطين مدخل الأنثروبولوجيا المسكن الريفي
المصدر:	راية مؤتة
الناشر:	جامعة مؤتة
المؤلف الرئيسي:	محمود، عبدالعزيز
المجلد/العدد:	مج3, ع1,2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1994
الشهر:	كانون الأول
الصفحات:	120 - 141
رقم MD:	14400
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch, EcoLink, IslamicInfo, HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الأحوال الاجتماعية، الأردن، الريف، قرية عينون، التخطيط العمراني، التراث المعماري، المساكن الطينية، المساكن الريفية، المناخ، الزراعة، مواد البناء، الآبار والعيون
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/14400

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

قرية عينون

ذاكرة الحجر والطين

مدخل الأنثروبولوجيا المسكن الريفي

المحتويات

- عرض طبوغرافي وتاريخي
- التاريخ الاجتماعي والعمراني
- من الكهف إلى المسكن الثابت
- القرابة والملكية في عينون
- نمط وأسلوب المعيشة في القرية القديمة
- العمارة التقليدية ومراحلها في عبنون
- الوصف المعماري للمساكن التقليدية
- الخلاصـــة

دراسة الدكتور عبدالعزيز محمود / جامعة مؤتة

عرض طبوغرافي وتاريخي :

التسمية :

عينون الاسم الكنعاني الوحيد في منطقة الكرك الذي حافظ على النهاية اللغوية الأصليّة ـ ون on َ. عينون ورد الاسم عند ياقوت الحموي وعند صاحب المراصد (٢٩٨:٢) والبكري (٢٦٦:١) والمقدسي (٢٥٤،٢٩) وقد أدرك ياقوت أن الاسم غير عربي إلاّ أنه أخطأ حين نسبه إلى العبرية وليس الكنعانية (٧٥٨:٣) أو الأرامية، ولا نملك الجزم برد الاسم مع نهايته (ون) إلى الكنعانية باعتبار النهاية هي النهاية المكانية ainon َ < aina َ، الينبوع، العين أو الأرامية، باعتبار النهاية علامة التصغير الأرامية on َ وعليه فيكون الاسـم «العين الصغيرة»*.

تقع عينون إلى الجنوب من مدينة الكرك وتبعد مسافة ١١ كم عنها، وقدرت دائرة الإحصاءات العامة عدد سكانها عام ١٩٩١ م بـ (٥٠٠) نسمـة ويسكنها عشيرة المحادين و بعض الأسر من عشيرة

تمهيد

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز التراث المعماري التقليدي في جنوب الأردن، واختيار قرية عينون أنموذجاً للدراسة بسبب طبيعة موقعها الطبوغرافي المتنوع وتماسك بنيتها المعمارية التقليدية، وغنى مجالها الحيوي «أودية، عينون ماء وسهول»، بالاضافة إلى احتوائها على مضامين خاصة بالتراث الريفي، وتهدف أيضاً للتعريف بالتاريخ الاجتماعي ـ العمراني للقرية، والوقوف على طبيعة وحجم التغييرات التي طرأت على حياة القرى التقليدية ومجتمعاتها نتيجة التطور المادي المعاصر.

لقد اعتمدنا منهج البحث الأنثروبولوجي في تقصّي التاريخ الاجتماعي ـ العمراني للقرية، واعتمدنا التأريخ الشفوي من المعمّرين كمصدر أساسي للمادة والمعلومات بالإضافة إلى الدراسة الميدانية للقرية والعمارة واستخدام أسلوب الوصف والقياس وتحليل عناصر البناء المعمارية في المساكن التقليدية.

واعتبر هذا البحث بمثابة مدخل لدراسة أنثروبولوجيا المسكن الريفي، وهي مساهمة أولية تهدف إلى تطوير هذا النوع من الدراسات ومساهمة في تبلور مناهج وأساليب البحث وتلمس الإشكاليات المتعلقة في مجال البحث، وتطبيق الدراسة على قرى أخرى بشكل أشمل وأكمل.

الشمايلة، فيها مجلس قروي ومركز صحي ومكتب بريد ومسجد ومدارس إعدادية للذكور والإناث.

تقع القرية على قمة هضبة بيضاوية الشكل متوسطة الإرتفاع بالمقارنة مع الهضاب المحيطة بالقرية، تحيط بها الأودية من ثلاثة جوانب، من الغرب يحدها وادي النوايسة يليه مباشرة جبل المنقطعة، ومن ناحية الشرق يحدها وادي الحفاير الذي يبدأ من منطقة العش، أما من ناحية الجنوب فيحدها إلتقاء الواديين، النوايسة والحفاير مكونين بذلك وادي المحادين الذي يستمر في سيره بإتجاه الشمال حتى الجانب الغربي لمدينة الكرك.

يصل إلى القرية طريق معبد يمتد بمحاذاة الجانب الشرقي فيها إلى أن يصل إلى أقصى طرفها الشمالي حيث يلتقي هناك بالدروب التي تقطع القرية طولياً من الجنوب إلى الشمال، على الجانب الشرقي الجنوبي للقرية تقع المقبرة القديمة.

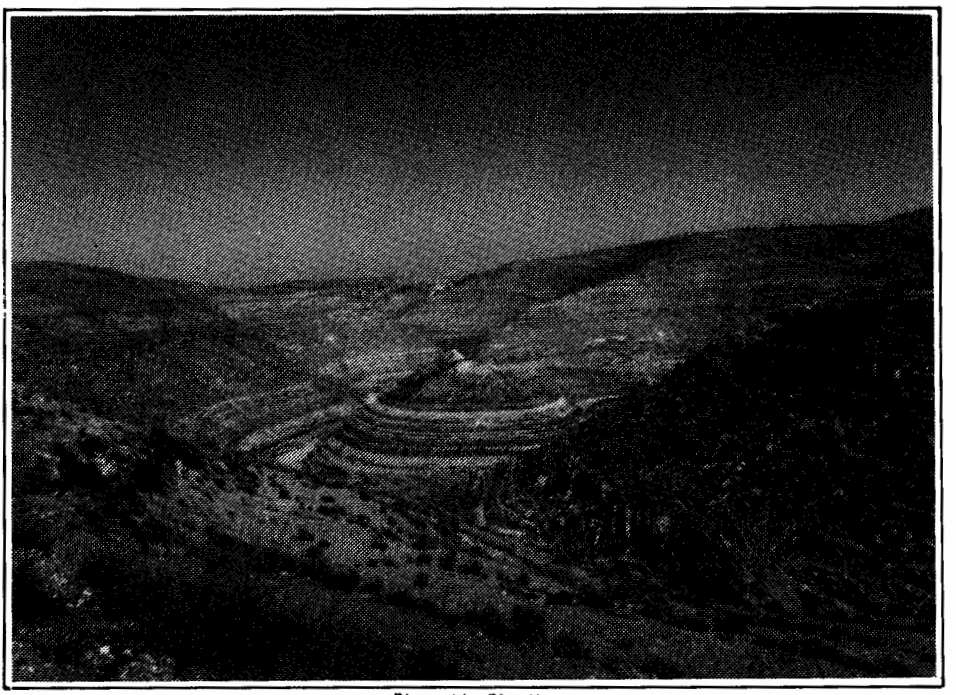

البيئة المحيطة

المناخ :

يُميّز مناخ المنطقة، مناخ حوض البحر المتوسط القارّي، والذي يتميز بصيف حار وشتاء بارد رطب. ويتخللها فترتين إنتقاليتين. وفي الشتاء تهب الرياح والمنخفضات الجوية المحملة بالأمطار من الجهة الغربية. وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار، وهي غير ثابتة ومتقلبة من عام إلى آخر، ويبلغ معدل الأمطار السنوي من ٢٥٠ ـ ٣٥٠ ملم. ويعتمد الإنسان والحيوان على مياه الأودية والآبار والعيون المنتشرة في محيط القرية.

العيون :

يعتمد عليها السكان في زراعة الكرمة وبعض أشجار التين والزيتون، ومن هذه العيون :

- عين الحفاير : تقع شرق القرية القديمة.
- عين الملاطة : تقع في الجهة الشمالية من وادي المحادين عند ملتقى وادي النوايسة بوادي الحفاير، وتبعد عن عين الحفاير حوالي ١ كم.
- عين الذنيبات : تقع إلى الغرب من عين الملاطة في وادي المحادين المتكون من إلتقاء وادي الحفاير بوادي النوايسة، وتبعد عن عين الملاطة حوالي ½ كم، في هذا الموقع تسكن عشيرة الذنيبات.

عرض تاريخي :

كانت المنطقة المحيطة بالكرك مأهولة بالسكان منذ العصور البرونزية القديمة (٣٠٠٠ ق.م) وتعتبر موطن القرية الزراعية ومركزاً للجذب والاستقرار البشري المبكر في المواقع المنتشرة في هضبة الكرك، حيث ما زالت بقايا الخرب والآثار ماثلة للعيان حتى يومنا هذا، وكثيراً ما أشار سكان عينون إلى وجود بقايا لُقى أثرية من فخار وجرار وزجاج وأساسات عمائر قديمة وحجارة مشغولة منتشرة في أطراف القرية. أما الفترات التاريخية الأكثر حضوراً في تاريخ المنطقة، الحقبة المؤابية (القرن الثاني عشر قبل الميلاد)، والعصور الهلنستية والبيزنطية ثم إنتشار الإسلام في القرن السابع الميلادي، ثم الحقبة الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي، ثم العصور المملوكية والعثمانية.

ويعود تأسيس قرية عينون إلى نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن.

الخرب :

توجد في التلال المحيطة بالقرية الخرب التالية :

- خربة اللبون : تقع في الشمال الشرقي من عينون وتحتوي على بقايا حُفر وأساسات لبناء قديم.
- خربة جلجول : تقع جنوبي عينون الجديدة في المرتفع الذي يشرف على القرية القديمة في أعلى قمة الهضبة، و تحتوي على بقايا عمائر أثرية قديمة.
- مغارة الصلبان : مغارة محفورة في الصخر تبلغ مساحتها حوالي ٧ × ٤ م وإرتفاعها من ٢ ـ ٣ م، وتقع إلى الجنوب من عينون القديمة، وتتميز هذه المغارة بوجود ثلاثة صلبان حفرت في الصخر وتقع في جهات المغارة الشمالية والشرقية والجنوبية، وتنفتح المغارة إلى جهة الشرق. وربما أُستُخدمت كملجأ للرهبان أو كمعبد للاعتكاف. وذكرت بعض المصادر عن عادة الاعتكاف في المغاور المنتشرة بكثرة في جبال وبوادي الأردن.

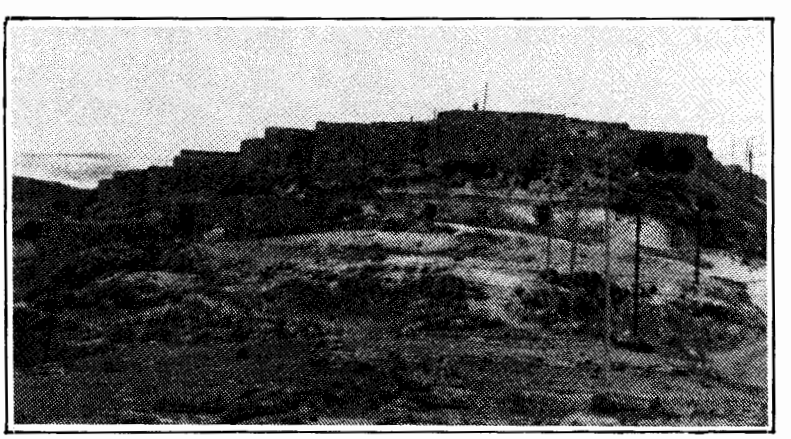

منظر عام للقرية

التاريخ الإجتماعي ـ العمراني

نظام القرابة لعشيرة المحادين عبارة عن تجمع عشائري ائتلافي لا تجمعهم قرابة حقيقية «رابطة دموية» أي أنهم غير متحدرين من جد واحد، إلّا أنهم يتخذون إسماً خاصاً محدداً، ورغم ذلك، فإن بعض الفروع فقط من المحادين تجمعهم رابطة قرابة حقيقية متحدرين من جد واحد مؤسس لفرع معين من المحادين.

والمحادين موزعين على عدّة قرى تقع إلى جنوب وغرب الكرك هي : سمرا، الشهابية، العزيزية «عزرا سابقاً» عينون وبعض العائلات تسكن في المدن كالكرك والزرقاء وعمان.

البناء الإجتماعي للمحادين :

ذكرت الروايات الشفوية بأن محادين قرى سمرا، الشهابية، العزيزية يرجع تاريخهم إلى مطلع القرن السابع الميلادي إبّان انتشار الإسلام في شمال الجزيرة العربية وجنوب شرق الأردن، حيث كان جدّهم من «العزيزات» يسكن في مؤتة، وذكرت عنه بعض المصادر التاريخية أنه قدم مهاجراً من نينوى في العراق وكان أحد سدنة الإله العزّى، ومن هنا جاء اشتقاق اسم عزيزات. وبعد استقراره واعتناقه للمسيحية أصبح أحد عمال الحاكم البيزنطي. وفي أثناء غزوة مؤتة عام ٨ هـ/ ٦٢٩ م أصبح من عزوة ـ أي من مؤيدي ـ الإسلام فاعتُبر ذلك إحياءً للدين الإسلامي من هنا جاء إشتقاق محادين. وتقديراً له أعفي وعشيرته من دفع الجزية باستثناء القسم الذي بقي على دينه المسيحي من سكان منطقة الكرك حتى تاريخ هجرة العزيزات في أواسط عام ١٨٧٨ م إلى مادبا[١].

محادين قرية عينون :

ذكر معمّر من محادين قرية عينون والذي يعتبر أحد وجهاء العشيرة والقرية بأنهم يرجعهون بنسبهم إلى قبائل البقارة من منطقة احواز ديرالزور على نهر الفرات شرق سورية والبقارة يرجعون إلى نسب الحسينية نسبة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (حسب التأريخ الشفوي)، وقد ذكر بأنه في زمن غير محدد على وجه التقريب حدث في بداية الربع الأخير من القرن الماضي بأن هاجر أربعة أخوة من ديرالزور باتجاه منطقة تل شهاب إلى الغرب من درعا في حوران إثر نزاع دموي بين فخذي العابد والعبيديين من قبيلة البقارة واستقروا فيها، وكانوا يشربون من واحة مزيريب. ثم تابع اثنان من الأخوة رحيلهم باتجاه الجنوب واستقر بهما المقام في قرية بلعما شرق جرش (يوجد فيها اليوم عشيرة البقارة)، ثم تابع أحدهم ويسمى خليل أبوشنب الذي سيصبح الجد المؤسس لعشيرة المحادين في عينون فيما بعد، رحيله باتجاه الجنوب حتى استقر به المقام إلى جوار الطراونة جنوب الكرك فأصبح ضمن الحلف العشائري التقليدي الشرقي (شراقا) وعلى إثر خلاف مع الطراونة انتقل للتحالف مع عشيرة المعايطة وقَسَم معهم بالأراضي فتحول بذلك إلى الحلف الغربي (الغرابا)، وفي نهاية المطاف سكن خليل المحادين بعد أن تزوج، في موقع

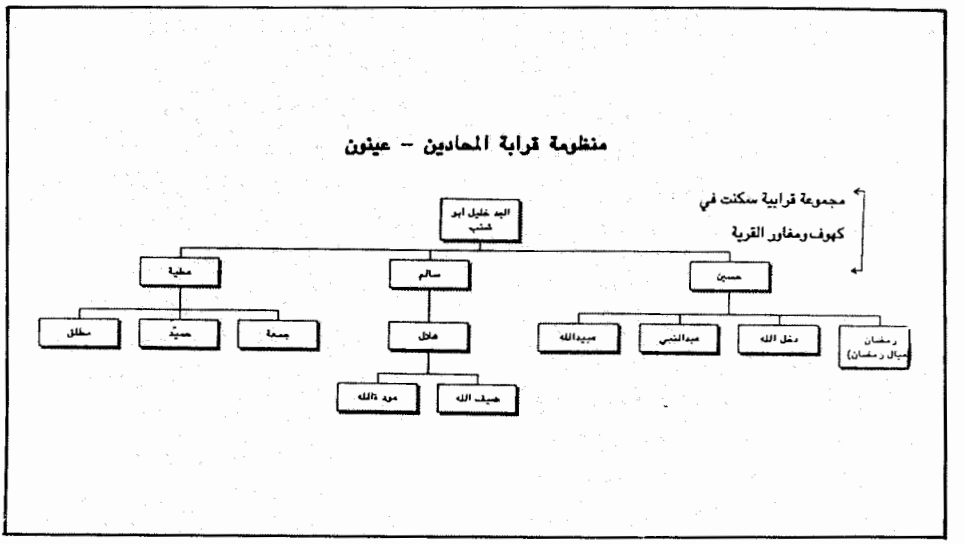

عينون وأنجب من الأبناء ثلاثة ذكور (حسين، سالم، عطية) وكل واحد من هئلاء أنجب عدداً من الأبناء شكلوا مجتمعين، فروع عشيرة المحادين والتي بشار لها بمحادين الشنوب.

كانت أراضي عينون مقسمة بين عشيرتي الشمايلة والطراونة، الجزء الشمالي من القرية للشمايلة، والجنوبي للطراونة، وخلال فترة إستقرار المحادين الأولى استطاعوا شراء معظم أراضي القرية وتوطيد علاقاتهم مع الجوار المحيط بأواصر المصاهرة واستغلال الأراضي الزراعية حتى محيط مؤتة.

من الكهف إلى المسكن الثابت :

من مميزات القرية أنها تقع على هضبة بيضاوية الشكل تحيط بها الأودية من ثلاث جهات بالإضافة إلى توزع المغاور

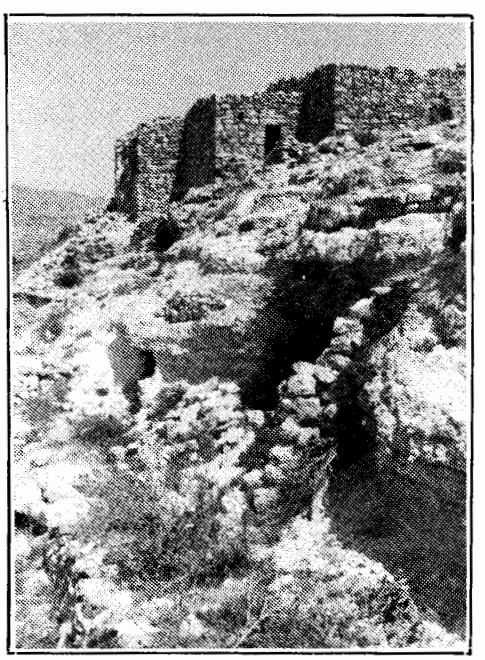

صف من الكهوف...

والكهوف في التجاويف الصخرية التي تقع في جوانب أعلى سفوح الهضبة، خصوصاً في الجهة الجنوبية والغربية من الهضبة، وبفضل هذه الميزة الطبوغرافية بالإضافة للآبار والعيون أختير الموقع للكسن، واتُّخذت المغاور والكهوف منازل للسكن، وأول من بنى مسكناً ثابتاً من الحجر والطين دخل الله وأخوه رمضان بن حسين بن خليل ـ الجد ـ المحادين، وبهذا، تكون العشيرة قد انتظرت أحفاد الجد لتعزيز الاستيطان المستقر في القرية والإقامة في المساكن الحجرية بعد ثلاثة أجيال من عمر العشيرة.

وفق طريقة التأريخ المحلي التقليدي، من الممكن تحديد بناء أول مسكن في عينون، حيث أرجعت الروايات الشفوية تاريخ أول بناء لعام ١٩١٥م وذلك حيث أعْتمدت خمس سنوات بعد ثورة الكرك الشهيرة ضد الأتراك التي حدثت في عام ١٩١٠م، ولهذه الحادثة حضور واضح في التاريخ المحلي.

ثم تتابعت عملية البناء من بعد هلال بن سالم بن خليل المحادين، وبذلك يؤسس الأخوة وأبناء العم في العشيرة نواة عينون القديمة مع نهاية العقد الثاني من هذا القرن.

واستمرت عملية التوسع العمراني موائمة بنفس الدرجة للتطور والنمو السكاني في القرية حتى بلغ عدد المساكن فيها في منتصف الستينات حوالي مائة بيت.

وقد عرفت عينون عدة مستويات من التطور العمراني على صعيد مراحل السكن أو أنماط البناء (كما سنرى لاحقاً)، وقد توقفت عملية البناء تماماً في القرية القديمة مع مطلع السبعينات حيث أنتقل العمران والإسكان إلى عينون الجديدة والتي تقع في صفوح الهضاب الجنوبية للقرية.

وفي عام ١٩٦٧م، تاريخ بناء أول مسكن من مادة الأسمنت وفق النمط الحديث في عينون الجديدة بناه زعل بن عبدالكريم بن خلف بن رمضان المحادين. بمعنى آخر، عرفت عينون القديمة سكن ثلاثة أجيال بعد بناء أول مسكن ثابت فيها على يد خلف المحادين جد زعل. ولتوضيح التاريخ الاجتماعي ـ العمراني للقرية نقدم المنظومة القرابية لفرع من المحادين «عيال رمضان» ـ أنظر المنظومة سابقاً.

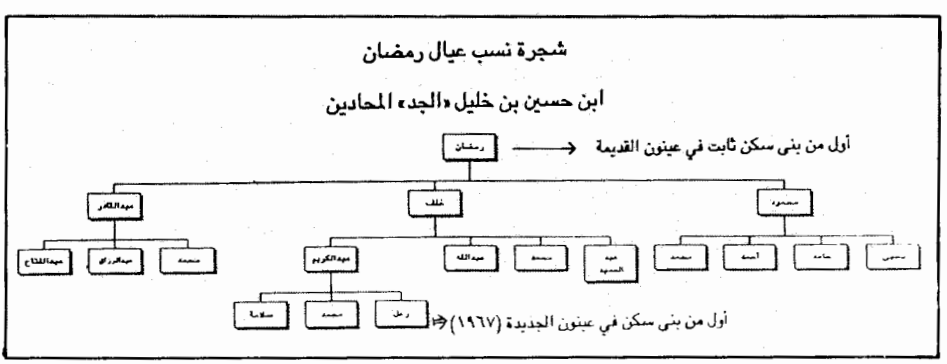

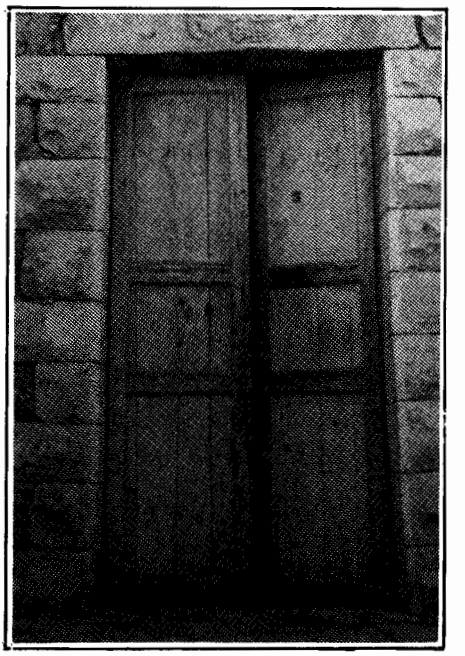

ونموذج عائلة «زعل» الذي ولد عام ١٩٢٠ وهو أول من بنى سكن في عينون الجديدة في عام ١٩٦٧م قام بنفس الدور الذي لعبه جده رمضان الذي بنى أول المساكن الثابتة في عينون القديمة. ولزعل ستة أبناء ذكور أكبرهم يبلغ من العمر أربعين عاماً وعدد من الأحفاد جميعهم يقطنون عينون الجديدة، وبذلك يتشكل جيل جديد في قرية جديدة منذ أقل من ربع قرن تقريباً.

القرابة والملكية في عينون :

تتوزع عقارات وملكيات الأراضي في عينون القديمة على أصحابها المالكين المتقدمين في السن والمقيمين، سواءً في القرية القديمة أو عينون الجديدة (حيث الغالبية). وتقسم أراضي عينون القديمة إلى نوعين من الملكية : ملك صحيح بموجب سند تمليك وحجج ملكية، ونوع ميري، للعشيرة حق التصرف بها بموجب أعراف حق الانتفاع والاستصلاح للاستغلال، وكل مالك حقيقي أو صاحب عقار أو مستخدم منتفع للأرض يعرف تماماً حجم وحدود ملكيته خصوصاً بعد إجراء تقسيم الأراضي في عام ١٩٦٦م، ولكن عمليات التسوية تأخرت حتى عام ١٩٩١م.

لتوضيح نظام الملكية نقدم المثال النموذج لعائلة زعل المحادين وإخوانه أبناء عبدالكريم خلف المحادين من عيال رمضان.

لقد إشترى عبدالكريم خلف المحادين ٢٩ دونماً من أراضي عينون الجديدة من عشيرة الضمور من قرية العدنانية المجاورة (محنة سابقاً) وتوفي في عام ١٩٤٥م، وله ثلاثة من الأبناء الذكور زعل ومحمد وسلامة، في عام ١٩٦٦ سجلت الحصص بالتساوي بأسماء الورثة الذكور دون الإناث، ولم تفرز الأرض حتى اليوم، وعن طيب خاطر تنازل إثنان من الأخوة عن حصة أكبر مساحة لصالح الأخ الأكبر «زعل» حسب العرف المحلي (شَرْهَهْ) لأنه من أول المعمرين في القرية الجديدة.

يملك أبناء عبدالكريم ثلاثة مساكن تقليدية في عينون القديمة، (بنيت من قبل والد عبدالكريم خلف المحادين) المسكن الأول، مكون من ثلاث قناطر، أي الأكبر حجماً، والثاني من قنطرتين متوسطتي

الحجم، والأخيرة من قنطرة واحدة. أقام في المسكن الأول محمد مع والدته، والمسكن الثاني يملكه زعل الأخ الأكبر، والأصغر لسلامة المحادين. في عام ١٩٧٢ م هُجر آخر مسكن من قاطنيه وتهدمت أجزاء كبيرة منه وبقي مسكن واحد فقط ما زال قائماً يستخدم للخزين وإيواء المواشي من قبل أحد أبناء عم المالكين.

وكذلك سجلت الكهوف بأسماء المالكين لكنها تستخدم مشتركة وتم تسجيل بئري ماء ملكاً خاصاً وستة آبار ملكاً لعموم عيال رمضان المحادين.

نمط وأسلوب المعيشة في القرية القديمة :

يعتمد السكان في حياتهم المعيشية على زراعة الحبوب بالطرق التقليدية البعلية خاصة القمح والشعير الذي تنتشر زراعته في أراضي وسفوح الهضاب المحيطة بالقرية، ومن الملاحظ عدم وجود حقول لزراعة الحبوب ضمن نطاق القرية بإستثناء بعض حواكير الأشجار والخضار في جوانب بعض المنازل من الجهة الشمالية، إن قرية عينون القديمة تعتبر مكاناً للسكن ومأوى لمواشي أهالي القرية. وتزرع بعض أشجار الكروم والتين والزيتون قرب عيون الماء التي تقع في الوديان الشمالية من القرية القديمة، وكذلك في سفح الجبل الذي تقع فيه عينون الحديثة.

ويعتمد السكان أيضاً في حياتهم المعيشية على تربية المواشي، خاصة الأغنام، مستفيدين من المراعي التي توفرها حقول مزروعات الحبوب بعد مواسم الحصاد، ومستغلين بنفس الوقت المراعي التي تقع على أطراف الوديان وخلف الهضاب المحيطة بالقرية والتلال المجاورة التي تكثر فيها المغاور التي استخدمت لخزن الحبوب والتبن وإيواء المواشي.

ويهتم السكان كذلك بتربية حيوانات الركوب كالحمير والبغال لاستخدامها في الحرث والنقل لملاءمتها لطبيعة الموقع الجبلي.

اعتنى السكان أيضاً بتربية الدواجن داخل القرية حيث يوجد في باحات المنازل الكثير من عناصر خدمات هذه التربية كالملاحق والأقنان والأعشاش وهي سمة من سمات القرى الريفية التقليدية لتوفير غذاء إضافي يعتمده السكان في معيشتهم اليومية.

العمارة التقليدية في عينون القديمة :

تعتبر العمارة التقليدية من أهم عناصر الثقافة المادية للسكان، من خلال هذه الدراسة، سوف يتوضح لنا نمط وأسلوب العيش السائد في القرية وكذلك طبيعة ومراحل التطور الإقتصادي والإجتماعي فيها.

لقد مرت عينون في ثلاث مراحل كانت كافية لتغيير طابعها التقليدي إلى الطابع الحديث المعاصر :

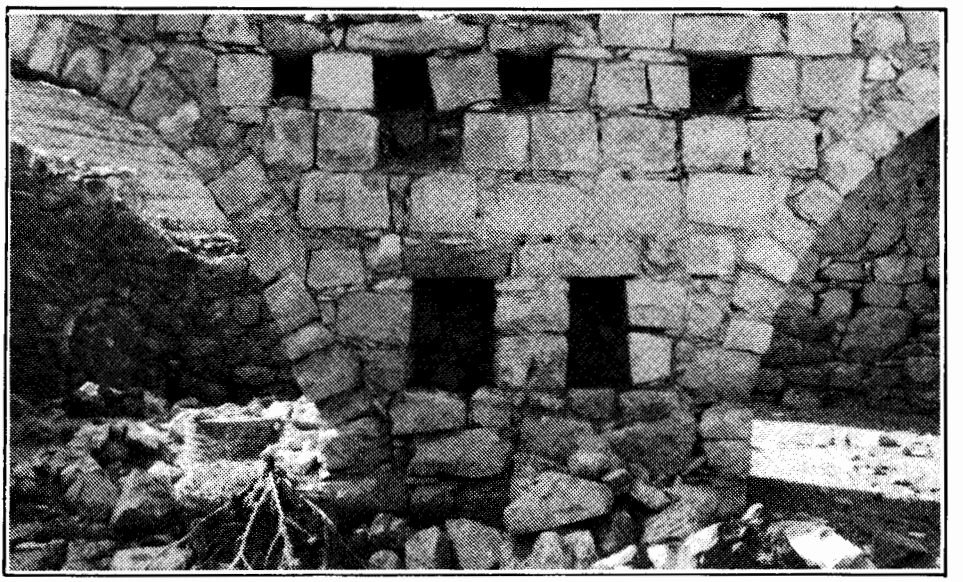

- **المرحلة الأولى** :

تبدأ من مطلع هذا القرن، أي منذ بداية الإستيطان في القرية القديمة في الحي الجنوبي الغربي وفق نمط البناء القديم الأول (المنزل ذو القناطر).

- **المرحلة الثانية** :

تبدأ مع بداية الأربعينات، أي في فترة النمو السكاني، وتتمثل في مجموعة المنازل الممتدة إلى الجهة الشمالية وفق النمط الثاني (المنزل ذو السقف القائم على جسور).

ومن الجدير بالذكر، الإشارة إلى مجموعة الأبنية التي جاءت كمرحلة إنتقالية بين النمط الأول والنطم الثاني الأحدث كالمسجد القديم.

- **المرحلة الثالثة** :

بدأت منذ مطلع الستينات في فترة النهوض والزيادة في عدد السكان القرية تبعها إنتقال إلى السكن في قرية عينون الحديثة داخل منازل إسمنتية حديثة.

إنّ دراسة وتتبع سمات هذه المراحل تمدنا بمعلومات عن طبيعة التّغيرات التي طرأت على القرية وعلى طابع الحياة فيها، و بالتالي تبين لنا أشكال التغيرات التي عرفتها القرى الأخرى في المنطقة والمشابهة في أسلوب معيشتها.

وبالرجوع إلى النماذج المعمارية للمنازل القديمة في عينون، نلاحظ وجود نمطين من أساليب البناء، وكل نمط ساد في فترة زمنية محددة يتخللها نمط معماري لمرحلة إنتقالية.

ـ النمط القديم الأل :

يُعبَّر عنه بالمنزل المكون من غرفة واحدة رئيسة واسعة مستطيلة الشكل مساحتها في أغلب الأحيان ١٢ × ٦ م وبارتفاع ٥ م، يتوسطها قنطرتين على شكل عقدين، قوس ونصف دائري، وظيفتهما حمل سقف البناء، والمساحات الفارغة التي تتخلل القناطر كالحجرات جعلت على شكل مصاطب تستخدم للنوم ولرفع الفراش، وأخرى بنيت في داخلها أهراء ومخازن للحبوب وتحتوي على راويات (التسمية المحلية لبعض أشكال خزائن الطين) ورفوف لحفظ المواد التموينية، كل هذه العناصر توجد داخل الغرفة الرئيسية، التي تفتح على الباحة بواسطة باب مستطيل يقع ضمن عقد تعلوه نوافذ صغيرة للتهوية، والباحة مربعة الشكل تحيط ببعضها الأروقة على شكل أجنحة ذات سقوف رفعت على قناطر وعقود كتلك التي تتوسط الغرفة الرئيسة. وتستخدم هذه الأروقة للخزن وحفظ الغلال وإيواء المواشي.

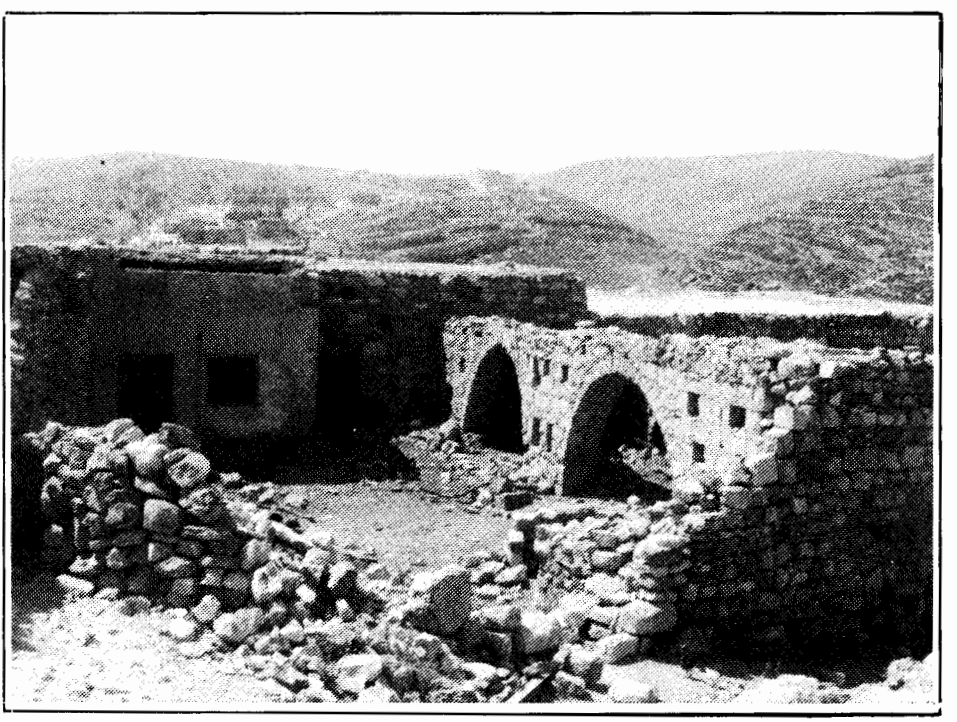

مسكن قديم من النمط

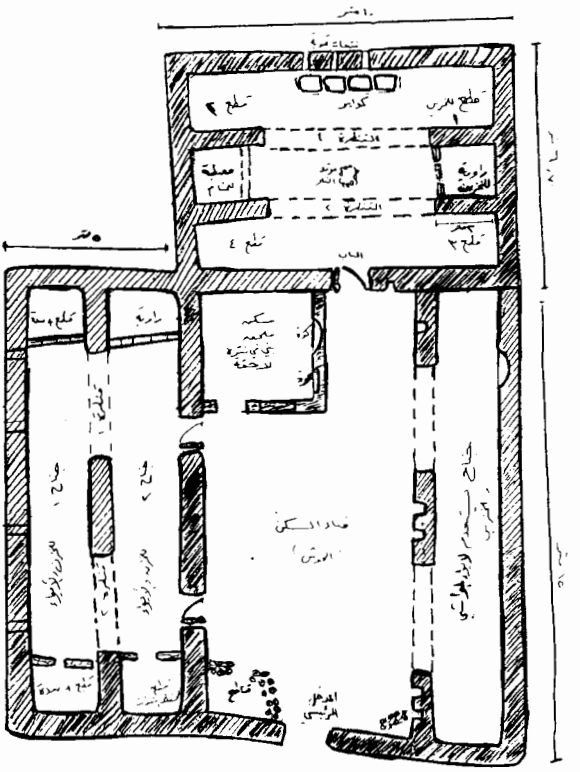

مخطط المسكن الأول من النمط القديم الأول

وصف معماري لبعض منازل النمط القديم الأول :

المسكن الأول :

يقع في الجزء الجنوبي من الحي القديم، ويرجع تاريخ بنائه إلى مطلع العشرينات ويعتبر نموذجاً للبيت القروي القديم الذي يؤدي كامل الوظائف الإجتماعية والإقتصادية للمسكن التقليدي، من مأوى وحاضن للعائلة ويوفر لها الجو الملائم للسكن ويحقق لها الغاية الإقتصادية التي تحتاجها الأسرة في معيشتها اليومية، وقد وُضع البناء بحيث يلائم نمط الحياة السائد لدى السكان والقائم على الزراعة التقليدية إلى جانب تربية المواشي والدواجن. وتجاوباً مع هذا النمط من العيش وضعت العناصر المعمارية الملحقة بالبناء كالمصاطب والمخازن والأروقة من حيث نوعها وتوزيعها

بشكل منسجم ويلائم الوظيفة الإقتصادية والإجتماعية للمنزل.

مادة البناء :

لقد وفرت طبيعة المنطقة مواد البناء الأولية، بنيت جدران المسكن من الحجر القاسي غير المهذب في معظم أجزاء البناء، بالإضافة إلى الرمل والتراب «الطين» والخشب وأغصان الأشجار والحطب.

تعتبر الحجارة العنصر الأساسي في البناء وهي متوفرة في محيط القرية في المنحدرات وقيعان الأودية وتجلب أحياناً من بقايا الخرب القديمة فتنقل على ظهور الدواب، أما التراب الأصفر المائل للون البني فكان يُحضّر في نفس المواقع ويخلط بالتبن والقش، ويستخدم في طلاء الجدران من الداخل مادة الجص والحُوَّر الأبيض الذي يجلب من الأودية القريبة وعادة ما تحضره النساء.

أما الخشب فمن أغصان الطرفاء وأشجار البلّان والعرعر والبطم والسرو والقصّيب المنتشرة قرب العيون وقيعان الأودية، وتُجمع النباتات الشوكية البرية من سفوح الهضاب حيث تستخدم إلى جانب الحطب في تدعيم فرشة السقف إلى جانب القصب.

تقنيات البناء :

في البدء يتم إبراز وتحديد قطعة الأرض التي يقع عليها البناء ويراعى ان لا يتعدى على حدود الجار حتى ولو كان من نفس العشيرة، ثم تسوى الأرض، بعدها يبدأ العمل بتحضير وإحضار مواد البناء اللازمة سواء من حيث النوع أو الكم المطلوب، تجمع المواد في نفس موضع البناء.

تحدد أساسات السكن بواسطة الأوتاد والحبال ثم تحفر الأساسات، عمقها يتوقف على طبيعة الأرض والتربة إذا وصلت الصخر تكون أقل عمقاً من الأرض الطينية التي تحفر حتى عمق المتر.

يتم بعد ذلك دكّ الأساسات بالحجارة والدبش والطين و يرفع فوقها الجدران من جميع الإتجاهات وكذلك قواعد العقود، وتكون عملية الرفع للجدران على شكل واجهتين داخلية وخارجية مرصوفة بالحجارة مع تعبئة داخلها وما يتخللها بالحجارة الصغيرة والطين، ترفع الجدران حتى تبلغ ثلاثة أمتار تقريباً، أما قواعد العقود فترفع إلى المتر والنصف أي عند النقطة التي يبدأ فيها إنحناء العقد «القوسة» حيث يتعين عندها وضع إطار يستند عليه العقد يتكون من أكياس التبن تدعم بالخشب والتراب للحصول على شكل قوس منتظم، يمكن عندها الإستمرار بالبناء إبتداءً من طرفي العقد وبالتناوب حتى يتم وضع حجر مفتاح العقد «المغلاق» فينبغي عندها أن يستقر القوس دون دعائم وبعد أن يستريح العقد يفرغ أعلى كيس من التبن من محتواه، ويقع مباشرة أسفل المغلق، بعدها تنقل الدعائم إلى موضع القوس الثاني وهكذا.

بعد الإنتهاء من رفع العقود أو الجدران حتى الإرتفاع المطلوب، تبدأ عملية بسط سقف البناء وذلك بعد عمل شبكة من جذوع الأشجار تستند على الجدران والأقواس، وتغطى بشبكة أخرى من

باحة مسكن قديم

القصل المربوط بإحكام مع بعضه البعض، يتم عندها تحضير طبقة من الطين الممزوج بالقش والتبن حيث يُغطى بها كامل سطح البناء بسمك مقداره ٤٠ سم وتقسّى بواسطة مدحلة حجرية وبعد جفافها يتم وضع طبقة ثانية ويعتنى بها كل سنتين مرة لمنع تسرب الأمطار من السقف ويراعى أن يكون السقف ذا ميلان لتسهيل إنسياب المياه من خلال المسارب بحيث تلقى المياه بعيداً عن جدران المسكن.

في حالات نادرة تترك فتحات في الجدار بحيث تكون إما في صدر المسكن أو أعلى الباب بهدف التهوية والتخلص من الدخان، لكن في اغلب الأحيان يبقى الباب الفتحة الوحيدة الهامة فهو الذي يمرر الضوء والتهوية. يفتح الباب ضمن عقد على شكل قوس منحني في الأعلى يوضع في أسفله عتبة الباب وهي حجر مستطيل ويحاط الباب بصفوف من الحجارة المشذبة على شكل فقرات تنتهي بحجر بلاطة أعلى الباب تعلوها أحياناً فتحات للتهوية.

تستغرق عملية البناء كاملاً من خمسة عشر إلى عشرين يوماً، يتعاون مجموع أفراد العائلة وبعض المقتدرين من العشيرة في عملية التشييد، و يعهد صاحب المسكن أحياناً عملية البناء إلى أحد «البنائين» الذي يشرف على تقطيع وتهذيب حجارة البناء.

مخطط البناء :

يرفع سقف الغرفة الرئيسية على كتف قنطرتين (عقدين) منفرجين بفتحة مقدارها ثمانية أمتار وهذان العقدان يتوسطان الغرفة بحيث يقسّمانها إلى ثلاثة أجزاء ـ أنظر المخطط تالياً ـ يرفع فوقها سقف الغرفة المستوي السطح والمبني من شبكة من الأغصان والأخشاب يتخللها البوص المغطى بطبقة من الطين والحجارة الدبش صغيرة الحجم. أما المساحات التي تقع على جانبي الغرفة التي تتركها القناطر الحاملة للسقف من جهة الغرب والشرق أستخدمت كعناصر متممة للبناء، حيث عمل في الجزء الشرقي الأوسط منها مصطبة مربعة الشكل مساحتها ٢,٥٠ × ٢,٥٠ م خصصت كمكان للنوم ورفع الفراش، أما الجزء المقابل فقد بني على شكل أهراء (مخازن) تتخلله الفتحات التي تستعمل لخزن حبوب التموين اليومي، أما الحجرات في الزوايا الأخرى فقد بنيت من الطين على شكل راويات ورفوف ومخازن داخلية توضع فيها الحاجيات والأدوات المنزلية وتحفظ فيها المواد التموينية كالبن والجميد والزيت والفواكه المجففة، وفي مقدمة الغرفة من الداخل صنف صف من «الكوارات» المصنوعة من الطين تستخدم في حفظ الحبوب والطحين ويوجد منها صف آخر في صدر الغرفة.

وصف المنزل :

يتكون البناء من غرفة واحدة رئيسة كبيرة الحجم مستطيلة الشكل يتقدمها باحة واسعة يحيط بها رواقان على شكل أجنحة لها سقوف تستند على قناطر وعقود تفتح هذه الاجنحة في الباحة الرئيسية.

ويتوسط الغرفة باب مستطيل يفتح إلى الشمال، وبني ضمن عقد منحن، بلغ إرتفاعه ٢,٥٠ م وعرضه ١,٣٠ م، تعلوه نافذتان للتهوية، وهناك نوافذ أخرى للتهوية تقع في جدار صدر الغرفة في الجهة الجنوبية. وتبلغ سماكة الجدران ٧٠ سم، وطليت الغرفة من الداخل بالكلس الأبيض، كما يتقدم الغرفة الرئيسة باحة مستطيلة الشكل مساحتها ١٥ × ٧ م يقع ضمنها الباب المؤدي إلى الفضاء الخارجي، ويحيط بالباحة من اليمين واليسار ـ أي من الجهة الغربية والشرقية ـ جناحان على شكل رواقين يتوسط كل جناح قنطرة على شكل عقد قوس نصف دائري نفذ على مرحلتين أي بفتحتين من جهة الجنوب إلى الشمال بحيث يجعل الجناح على هيئة حجرتين متصلتين، رفع سقف الجناح على القنطرتين، تماماً كما هو الحال في قناطر الغرفة الرئيسة، يفتح الجناح على الباحة الرئيسة بواسطة باب على شكل قوس مدبب الرأس.

أما الجناح المقابل في الجهة الشرقية فهو من حيث المخطط وعدد الحجرات وضع وفق الجناح الغربي، لكنه يتميز عن الجناح الغربي بأن الحجرتان تُفتحان بواسطة قوس منحن نصف دائري على ممر يتقدمها، والممر بدوره فيه بابان مستطيلا الشكل يفتحان على الباحة الرئيسية، إن المساحات الفارغة التي نتركها عقود هذه الأجنحة، كما هو سائد في

الغرفة الرئيسة بنيت فيها المصاطب والأهراء لتخزين الحبوب والتبن والحجرات نفسها أستخدمت في حفظ أدوات العمل الزراعي ولإيواء المواشي.

وتجدر الإشارة إلى وجود غرفة مربعة الشكل تقع في الباحة التي تتقدم الغرفة الرئيسة وملاصقة لها وللجناح الشرقي، يرجع تاريخ بنائها إلى مرحلة لاحقة إبان فترة النمو العمراني على إثر زيادة في عدد أفراد العائلة التي تسكن المنزل (سوف تعرض في الصفحات القادمة).

المسكن الثاني :

يقع هذا المنزل إلى جانب البناء الأول من الجهة الغربية. وضع البناء وفق التصميم التقليدي المتبع في عمارة تلك المرحلة حيث يتكون من غرفة رئيسة واسعة يتوسطها قنطرتان لرفع سقف البناء، وتتوافر فيها جميع العناصر والملاحق المعمارية الداخلية من مصاطب وأهراء وراويات وضعت وفق نفس الأسس سواء من حيث الحجم أو التوزيع وتؤدي نفس الخدمات والوظائف.

يتقدم الغرفة الرئيسة باحة فسيحة مربعة الشكل إلّا أنها تتميز عن المنزل الأول بأنها لا تحتوي على أجنحة وأروقة بإستثناء وجود غرفة مستطيلة الشكل وضعت على إمتداد الجانب الغربي من الباحة يتوسطها قنطرة لرفع سقفها، ويتوسطها باب مستطيل يفتح على الباحة الرئيسة، وتحتوي الغرفة على مصاطب وأماكن للتخزين، وتحتوي الباحة على بئر ماء لجمع مياه المطر.

المرحلة الانتقالية :

كما ذكر سابقاً هناك بعض الأبنية التقليدية كتلك التي بنيت في فترة لاحقة من عمارة المرحلة القديمة الأولى، ويمكن أن تعتبر ذات نمط انتقالي من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية. ومن خلال الوصف المعماري والدراسة التحليلية لنمط البناء التقليدي القديم نستطيع أن نحدد بعضاً من النماذج المعمارية التي نفذت وفق أسلوب يقع بين النمط القديم والنمط المعماري الأحدث عهداً، يُستدل على ذلك من خلال بعض الاختلافات في العناصر المعمارية وطبيعة وظيفة البناء. ومن هذه الأبنية :

(١) **مجموعة الأبنية** التي تقع في المنحدر الأسفل من سفح الهضبة في الجهة الغربية للقرية والمشرفة على وادي النوايسة، هذه المجموعة تعتبر إمتداداً للنمط التقليدي القديم حيث بنيت إلى جانبها من جهة المنحدر، أملتها ظروف التوسع المعماري. وتتميز بأنها صغيرة الحجم بالمقارنة مع المنازل المرتفعة، وتحتوي على غرفة رئيسة تؤدي كافة الوظائف من إيواء وإستقبال وخزن بالرغم من صغر حجمها، ومن حيث المخطط نفذت وفق الأسلوب القديم، يتقدمها باحة مربعة لا تحتوي على ملاحق وأجنحة لكن بعضها لا يخلو من بعض الحجرات المبنية من الحجارة على شكل خشش وأقنان تستخدم لإيواء المواشي وتربية الدواجن.

بالقرب من هذه البيوت يوجد عدد من المغاور المحفورة في الصخر في بطن الهضبة وتستخدم في تخزين الحبوب والتبن وهناك مغاور أخرى تقع إلى الأسفل حفرت بالصخر وجُعل لها باب على شكل قوس منحن مبني من الحجارة المشذبة أستُعملت كمخزن جيد لحفظ الحبوب.

(٢) **مسجد القرية القديم** : يقع المسجد داخل القرية القديمة في موقع متوسط بين مجموعة الأبنية القديمة وتلك التي بنيت في مرحلة تالية وقد بني وفق نمط الأبنية التي تعود للفترة الإنتقالية. يتكون البناء من غرفة واحدة فسيحة ومستطيلة الشكل مساحتها : العرض ٦ م والطول ١٠ م والإرتفاع ٥ م، يتوسطه قنطرة (عقد) واحدة على شكل قوس منحن من جهة الغرب إلى الشرق رفع عليه السقف المبني من الأغصان الغليظة والبوص والطين والحجارة، يُفتح في البناء من جهة الشمال باب مستطيل الشكل وضع في الجزء الأقرب إلى الشرق يفتح ضمن عقد يعلوه حجر مستطيل على شكل جسر، ويحتوي الباب على نقش كتب عليه «الملك لله وحده» والعبارة محاطة بهلالين ونجمة خماسية، إلى جانب الباب من اليمين واليسار يوجد نافذتان مربعتا الشكل، وأخرى في الجدار الغربي ومثلها في الجدار الشرقي، تبلغ سماكة الجدران متراً واحداً، في منتصف واجهة المسجد يوجد عقد على شكل فتحة أرضية عبارة عن باب للبئر الذي يتقدم البناء ويقع أسفل حجرة المسجد. ويتقدم البناء باحة شبه مربعة تفتح على الخارج بباب من الجهة الشرقية، بني المسجد من

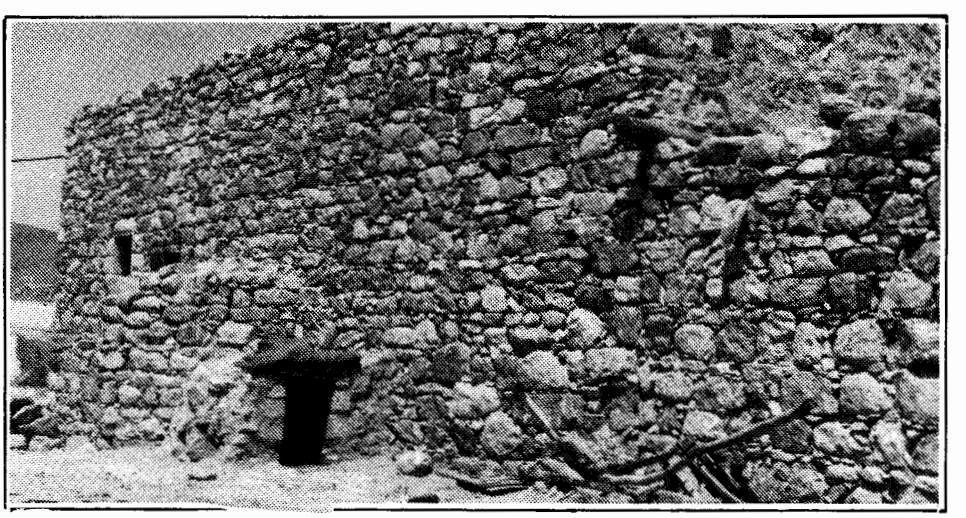

المسجد القديم

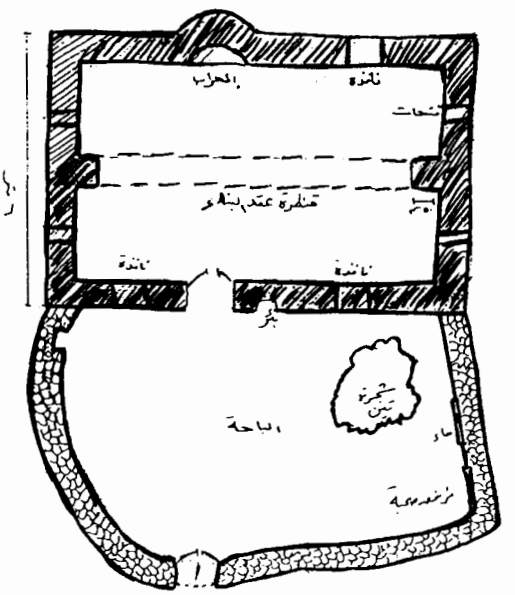

مخطط المسجد القديم

الحجارة غير المشذبة بإستثناء تلك التي تحيط بالمدخل والمنافذ وعقد البناء من الداخل مطلي بالكلس الأبيض ودهن بحزام من اللون الأخضر.

ميزات هذا النمط وجود الفتحات و النوافذ الواسعة وإختفاء الحجرات التي تتخلل العقود والتي تحتوي على المخازن والمصاطب، لأن وظيفة العقد أصبحت إنشائية بحتة وهي لرفع سقف البناء.

النمط التقليدي الثاني :

يتمثل هذا النمط في مجموعة المنازل التي تقع في الجهة الشمالية الشرقية من القرية القديمة ويعتبر المسجد القديم الحد الفاصل بينها وبين مجموعة المنازل ذات النمط الأول القديم، ويرجع تاريخ بناء منازل النمط الثاني إلى مرحلة التوسع الذي شهدته القرية وذلك إبتداءً من مطلع الأربعينات. مخططها العام مكون من غرفتين متلاصقتين وأحياناً تكون منفصلة، تفتح على باحة المنزل المربعة أو المستطيلة،

ومساحتها أقل من مساحة باحات منازل النمط الأول. ويفتح المنزل بواسطة باب مستطيل الشكل على الباحة مباشرة، يوجد على جانبه نافذة مربعة الشكل، ويستند سقف البناء على جدران المنزل يتوسطه جسر من الخشب أو الحديد، وبهذا الشكل لم تعد القناطر مستخدمة في هذه المرحلة.

إضافة إلى أن منازل هذا النمط لا تحتوي على العناصر المعمارية المكملة للبناء والتي كانت في السابق تستخدم في التخزين وحفظ المواد التموينية وإيواء المواشي. بإستثناء جعل بعض الرفوف والحجرة ذات القوس ضمن جدران الغرفة لإستغلالها كمصاطب قليلة العمق. والباحة أيضاً تحتوي على بعض الغرف الهابطة والخشش والأعشاش وتستعمل في التخزين وتربية الدواجن.

ـ وصف معماري للمسكن من النمط التقليدي الثاني :

(١) مسكن ذو غرفتين متصلتين يتقدمهما باحة :

المسكن عبارة عن كتلة معمارية مستطيلة تتكون من غرفتين متصلتين مساحة كامل البناء : الطول ١٨ م والعرض ٦ م والإرتفاع ٥ م، يتقدم المنزل باحة مستطيلة محاطة بجدار إرتفاعه ٣ م يقع ضمن الباحة، الباب الخارجي الذي يفتح على الجهة الجنوبية، تفتح أبواب الغرف على الباحة مباشرة وتحيط بها النوافذ المربعة ويعلو الباب الجنوبي حجر

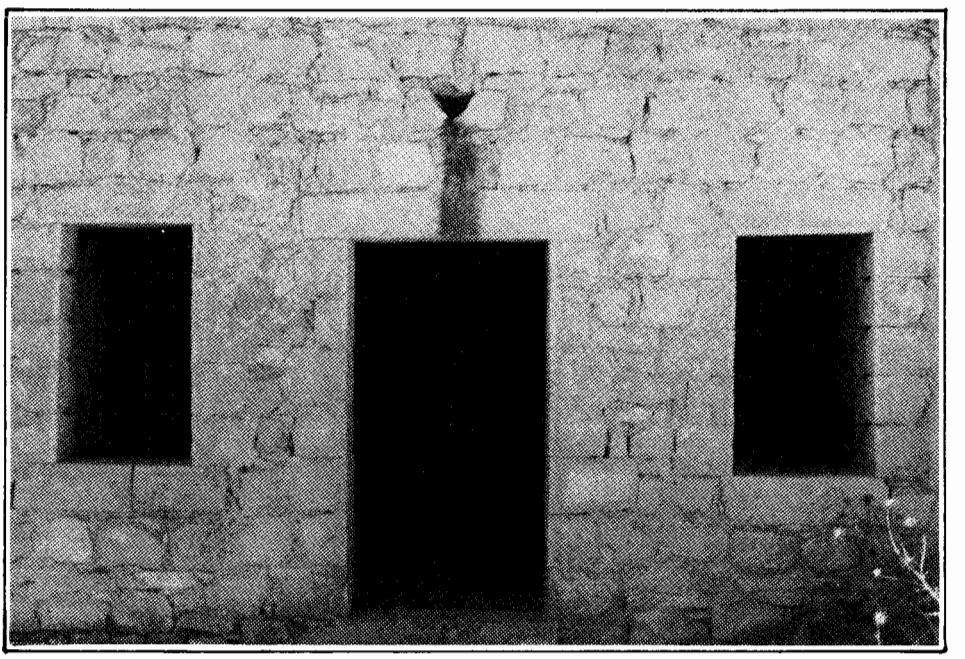

مستطيل يحتوي على زخرفة على هيئة أروقة وردية دائرية الشكل يتوسطه نقش كتب عليه «الملك لله وحده».

مادة البناء من الحجارة غير المشذبة مدكوكة بالطين، وتتوزع الحجارة المنظمة المشذبة حول الأبواب والنوافذ وفي زوايا البناء، سقف البناء مستو أستند على جدران المنزل ويتوسطه جسّر من جذوع الأشجار الغليظة إلى جانب الأغصان تحمل شبكة من البوص وضع فوقها طبقة من الطين.

(٢) الغرفة الملحقة بالمسكن الأول من النمط القديم الأول :

كما ذكر سابقاً تتبع هذه الغرفة في باحة المنزل الرئيس، نفذت في مرحلة لاحقة أي في فترة التوسع نتيجة لزيادة عدد أفراد الأسرة، أو على أثر الزواج الثاني لصاحب المسكن مكوناً بذلك أسرة جديدة في نفس المسكن.

الغرفة مربعة الشكل ٥ × ٥ م، ويبلغ إرتفاعها ٤ م، وسماكة الجدران ٦٠ سم، فتح فيها باب مستطيل يفتح إلى الشمال يطل مباشرة على الباحة، وفي الجدار الغربي توجد نافذة مربعة، رفع سقف الغرفة على الجدران مباشرة دون الحاجة إلى القناطر ووضع على أعمدة من الخشب تعلوها شبكة من البوص مغطاة بطبقة من الطين، وجعل في جدرانها حجرات على شكل (كوة) واسعة مقوسة تستخدم كمصطبة لرفع الحاجيات إلى جانبها وضمن الجدار

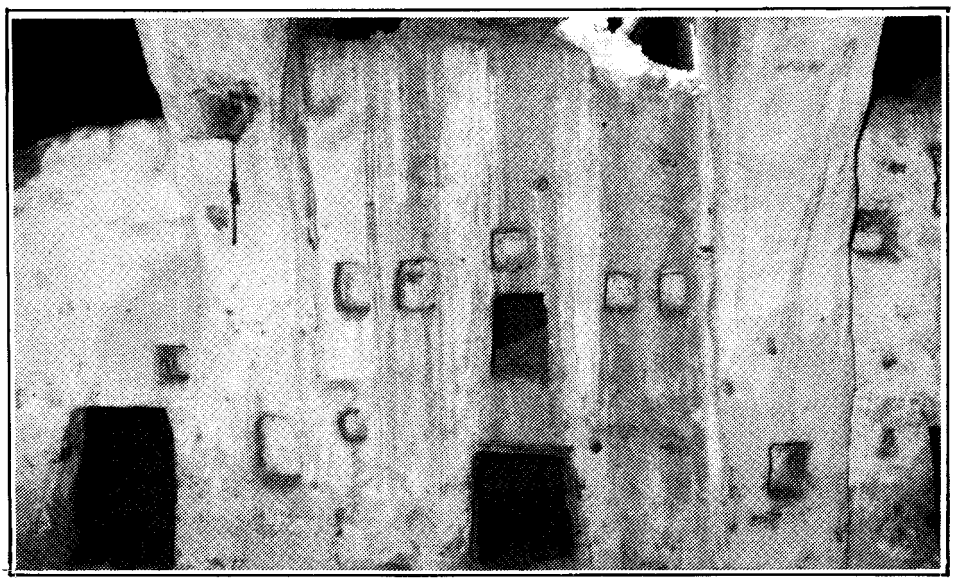

نفذت الرفوف لوضع بعض الأدوات وجزء من تصميم الغرفة.

بهذا النمط من المسكن يكون قد إنتهى المسكن المكون من غرفة واحدة فسيحة والتي يجري بداخلها جميع وظائف المسكن (إستقبال وإيواء وتخزين) وأستعيض عنها بالمسكن ذو الغرفتين المتلاصقتين والتي يفصلهما جدار وكل غرفة تخصصت في وظيفة محددة، واحدة للإستقبال والنوم وأخرى للخزن وإيواء المواشي.

من خلال تتبعنا لمراحل التطور المعماري وأنماطه نلاحظ بأن المسكن قد خضع لعدة تغييرات معهمارية ووظائفية، فكانت مواكبة وملائمة للتطورات والتغيرات التي طرأت على أسلوب ثقافة ونمط ومعيشة السكان مع نهاية الستينات وإبان الإقامة في قرية عينون الجديدة ثم التخلي نهائياً عن البناء وفق النمط التقليدي بكافة أنماطه وأستبدل الأسلوب بالمسكن الحديث المبني من مواد مصنعة كالإسمنت والرمل والحديد والحجر المنمق وفق مخطط جديد حيث أصبح البناء يتكون من عدة غرف ولكل غرفة وظيفة محددة كالإستقبال والنوم والطبخ والمرافق الصحية يتخللها الموزعات والمناور، فأصبحت البيوت أكثر إنارة وتهوية وبالتالي أكثر صحية، وزود المسكن بخدمات الماء والكهرباء وأحيط بالحدائق المحاطة بسور يفتح على الفضاء الخارجي. وأستمر التقليد الثابت بأن يُرفع البناء فوق تسوية صُممت على شكل حجرات تستخدم كمخازن وأماكن إيواء للمواشي، ومكان مناسب لبعض الأعمال المنزلية كإعداد الخبز والطعام والغسيل وتحضير المواد الغذائية المعدة للخزن.

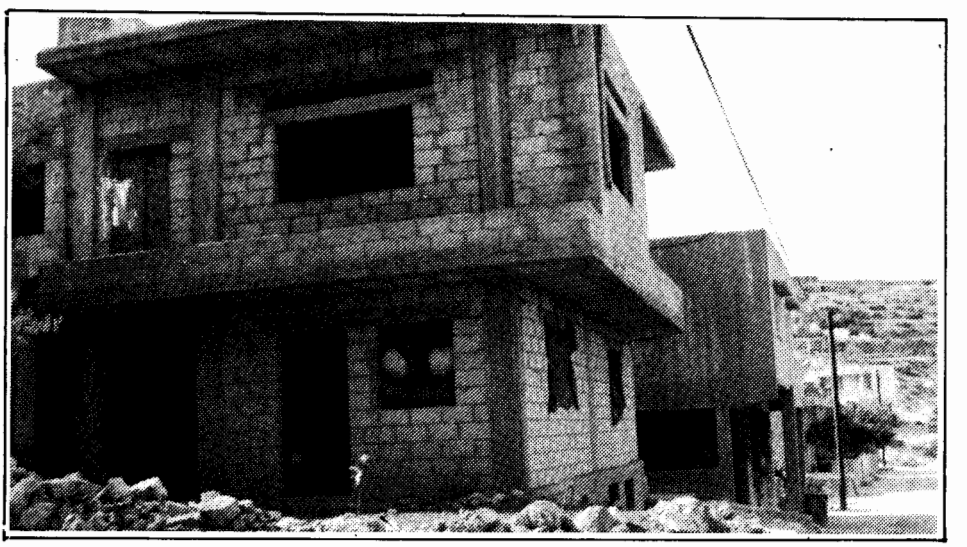

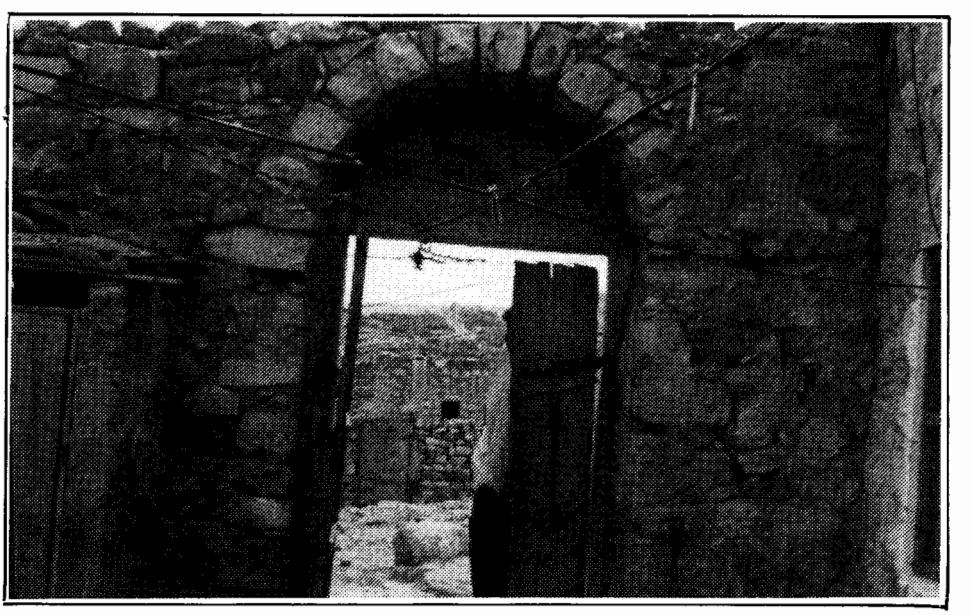

أمّا بخصوص المساكن التقليدية في القرية القديمة التي سلمت من الهدم فما زال بعضها مأهولاً بالسكان وأخرى أستعملت للخزن وإيواء المواشي.